أصوات من السودان... قصص بطع

الغسيل، إيجار غرفته المستحق بعد أيام، رهان اليانصيب المعلَّق بين شفتي القدر، أعلام الجنس المنتصبة على صدر شقراء ليليةٍ، ولُعابه الذي ظل يدّخرهُ ليبصقه على وجه أحدهم. التصق بصره بتلك الأرض الأسمنتية، وهو يبتعد عنها، ليتركها تغيب أمام ناظريه، بين أمواج الأطلنطي كحوتٍ نهم يبتلع قارب صيد. ولوهلةٍ لا مقياس لها، ظنَّ أنَّه ترك شيئاً ما يخصّه هناك. أدهشته هالة الحزن التي خيَّمت عليه فجأةً، ولم تُطمئنه رائحة المدار الاستوائي، وسحنات البحَّارة الدَّاكنة، والمتعرِّقة بفعل الرُّطوبة. انفلتت بكرة الخيط الرُّوحيَّة لتلتصق بأرصفة الشّوارع الملساء؛ حيثُ ترك سنواتٍ عشر من عمره، كانت كفيلةً بأن تُشعره بالانتماء، رغم مرارات الوحدة واللاانتماء.

رمى جثته المُنهكة على إحدى صواري السَّفينة المنتصبة كذيول العقارب، وأمسك بمسمارٍ مُهملٍ، ومضى يخطُّ به على الأرضيَّةَ الخشَبيَّة: «سنلتقي قريباً.. أعدك!». لم يحتمل تعاقب المشاعر المتضاربة على صدره المثقل برطوبة البحر، وسنوات الاغتراب المسفوكة على صفحات تاريخه كدماء قرصانةٍ مجهولي النَّسب. لم يكترث لنداءات ملاحي السَّفينة المطالبين بدخول الجميع إلى كبائنهم اتقاء إعصارٍ استوائي غير مأمون الجانب، وظلَّ يُدندن بأهازيج من قصائد «صامويل غليوز» تلك التي كان يُردِّدها تُجَّار الخشب العائدين من واحات جغبوب:

قلتْ: أضيئي لي النُّجوم
كي أعثر على ما يُشبهني في الرُّؤى والخطوات
يا أيتها المدينة
أيتها الدَّمعة الحزينة
أبوكِ الأوَّل ضاع منذ صارت الأرض مثلثة الشّكل
ذات زوايا وعتمة
فلا تنتظري أحداً
لأنَّ الذين يذهبون
يُصبحون مُجرَّد ذكريات
فلا تنتظري بعد اليوم
مَن وَعَدَكِ الشَّمس ولم يَعُد.

مدَّ خطاً طويلاً بلا إرادةٍ، وهو يُنصت بخوفٍ إلى زعيق زنجي مُعلَّق على إحدى الصَّواري: «السَّفينةُ تغرق الآن!» وابتسم في عبثٍ، وهو يرى الموت يتلَّبس ملامح البحَّارة، والهاربين خفيةً على السَّواء. قذفته الأمواج من ناحيةٍ إلى أُخرى، ولم يشعر تجاهها بالسُّخط؛ بل ظلَّ مُحافظاً على ابتسامته الهادئة، وهو يتذكر نبوءة أبا: «سنلتقي قريباً». فنظر عميقاً إلى البحر، ورأى صورتها مُبتسمةً كملاكٍ استوائي نادر، عاريةً كدُولفينٍ ودودٍ، وابتسمَ لها في المقابل، وتسنَّى له أن يتذوَّق مرارة عُصارة البابايا للمرَّة الأخيرة، قبل أن تبتلعه آخر الأمواج.

* روائي وقاص سوداني، صدر له من الروايات: أرتكاتا، السيدة الأولى، بتروفوبيا، قونقليز، أرض الميت، كاجومي. وكتاب نقدي بعنوان: هرطقات في النقد الأدبي المعاصر 2014، حاصل على جائزة الطيب صالح للإبداع الروائي – مركز عبد الكريم ميرغني 2010، وجائزة الطيب صالح للإبداع العالمية الكتابي 2015.

طَيْفُ بَامِيْجِي

سايمون ابرام *

مضى من الليل نصفه، والكائنات الآدمية لهذا الحي النائي نصفُ نيام.. تتوجسُ خيفةً في مساكنها، وآذانُها تستمعُ لكل حركةٍ قد تصدر بالخارج، تتوقع برهبةٍ زيارةً غير مرغوبٍ فيها، قد يقوم بها سُراة الليل، أبناء الظلام.. فالدواخل موصدة.. القناديل مطفأة.. الظلمة حالكة السواد.. والبروقُ تومضُ، يتسللُ ضوءُها بخجل من بين شعاب الغيوم المتراصة في الأجواء، تصطدم بالألواح المعدنية التي صنعت منها تلك الأهرامات المتهالكة التي يدعوها أصحابها مساكن.. ونباحُ الكلاب الضالة يقصمُ ظهرالسكون المطبق بأنيابه على الحي!

قد بلغ بي الشوقُ شأواً سحيقاً.. إلى فتاتي «باميجي».. يصلبني على الآكام الموحشة، وفي مخابئ الصخر.. عند الينابيع الحارة.. «باميجي» عصفورةٌ استوائية فريدةٌ، متوحشة الجمال.. قد انفجرت ينابيعُ أنوثتها العذبة، وهي تبلغ من العمر تسعة عشر ربيعاً، لتستحيل فردوساً عبقرياً بنباتاتٍ غضةٍ، وتلالٍ من الأزاهر تسلل إليَ طيفها وأنا على مرقدي، أصارع جبروت الأرق الذي بات ينهك جفني.. أجثو على ركبتيَّ مبتهلاً إلى السماء طوراً، وأنبطح على فراشي وأقاوم اليأس طوراً آخر. ارتفع نقيق ضفدعة انساب نقيقها عبر ثغرات الخيزران التي بُني بها مسكني.. وإناث الأنوفليس البغيضة العطشى تغرز معاولها في جسدي تستبيح دمي ثم تتطاير تجوب أرجاء المسكن جيئة وذهاباً، وقد بيتت نية شريرة في احتلاله أو هكذا أظن.. كنت أود لو أرى النجوم المتلالئة تتراقص في مداراتها، والشهب والنيازك تتسابق نحو كرتنا هذه، غير أن النوم خارج الغرفة يعدّ مغامرة من العيار الثقيل في هذا الحي.. سرتْ في شراييني رعشة جميلة مبهمة.. اهتزت لها جوانحي إثر لثمة فجائية حارة طبعتها شفتا فتاتي باميجي الساحرتان على ثغري.. مددت يدي ومسست خدها، فتناطحت في خلدي الأفكار.. أراني قد سموت إلى فردوس استثنائي خاص بي.. ما وجدت بها شجرة لمعرفة خير أو شر.. فبتُ ألتهم بشرهٍ ما يقع نصب عينيَّ دونما اكتراث. انفلق باب الغرفة إثر ضربة عنيفة عاجله بها أحدهم، متبوعة بحركة لأجزاء بندقية آلية، وصوت قبيح يأمرني: «لا تتحرك». التصق جسدي النحيل بالفراش.. صرتُ كالمومياء.. لم أجد سانحة للحركة، ولم يترك لي ذلك الصوت متنفساً لتقويم وضعية جسدي في المرقد. ولج الغرفة شخصان لم أتبين خلقتهما أبداً. إني لم أزل متيبساً.. أشعل أحدهما مصباحاً يدوياً، صوّب الضوء إلى وجهي، أحالني إلى أعمى مؤقتاً.. وإذا بصوت يقول: «أين القروش واللابتوب والموبايل»؟.. يا للحظ السيئ! يبدو أني أتعرض للنهب.. يبدو أن أبناء الظلام قد أدركوني. أفصحت لهما عن مواضعها مكرهاً.. سيأخذونها لا محالة. اختلجت في داخلي أحاسيس بالغضب والوجل والحسرة، ولا حيلة. هؤلاء لا يرحمون.. ينهبون ويسلبون، يغتصبون ويقتلون، ولا يرمش لهم جفن. قلتُ أصون روحي فلا أفقدها أيضاً. انفلتت من رئتيَّ شهقة عميقة بُعيد ذهابهما، أعادت إلى موميائي أعني جسدي النحيل بعض الحياة... عاودني جبروت الأرق، مستصحباً اليأس والقنوط، بينما ابتدأت في الخارج، قطرات المطر تنقر سطح مسكني المعدني، نقرات متسارعة، كثيفة وعنيفة.. وريح هوجاء تهز ملابسي المتدلية من على حبل موثق بين خشبتين تعلوان فراشي.. وإناث الأنوفليس البغيضة تلك، اختفت إلى حيث لا أدري.. وأنا أحاول بعبوسٍ مراراً، اجترار الوقت قليلاً، من دونَ جدوى، لأستعيد أملاكي المنهوبة، وطيف فتاتي الرائعة الاستوائية باميجي!

* كاتب من جمهورية جنوب السودان.

«الشجرة» لابراهيم الصلاحي (حبر ملون على ورقـ ـ 45,7 × 47 سنتم ـ 2001)

دوسنطاريا

منصور الصُويّم *

في اليوم الخامس، انسحبت الكتائب المتمترسة في العمق وتركت الساحة الخربة لكتائب الرايات الرمادية، تقدمت الكتائب الرمادية في شكل قوس كبير مطوقة الدخان والغبار والإسمنت المتداعي، توقف جيب مكشوف، قفز ضابط نحيل وأمر جنوداً أكثر نحافة منه بالانتشار: «اقتلوا حتى الظلال». قفز الجنود المذعورون صوب ركام المباني المنهارة محتضنين رشاشاتهم الصغيرة، جندي «ما» قفز مترنحاً، بدا وكأنه سيسقط، مترنحاً سار صوب الحطام المتداعي. كان يسمع صوت الرصاص والصرخات المكتومة وهو يقترب من بقايا مبنى ما، تكسرت حوائطه وبرزت أسياخه وشظايا زجاجه وتحول إلى مزبلة إسمنتية، بقبضته تمسك الجندي الـ «ما» بإحدى الأسياخ البارزة، كانت أنفاسه تتهدج وعرق غزير يتقطر من جسده ويبلله. أسقط السروال الكاكي وقعد. أحس بالألم حارقاً يكوي أحشاءه، تقلص بأكمله وسائل أصفر شفاف يندفع من مؤخرته، أحس بجسده يضيع ويتبخر، غرز مقدمة السيخة في جبينه وأحشاؤه تتمزق وتتلوى لمرة أخرى، صرخ بصوت مبحوح والسائل الأصفر يتدفق كالرشاش، ينتشر على ساقيه ويلطخ البوط الأسود ويرسم على الإسمنت المتكسر خرائط مشوهة ويسيل متقطراً.. هدنة قصيرة عاشها المحارب وأحشاؤه تستريح وهواء خفيف يضرب جسده المبلول بالعرق، أحس بانغراس السيخة في جبينه، تنبّه ثم أحس بغريزة المحارب بأنه مراقب، أطلق عينيه برفق وحدق في الظلام أمامه، برهة وتيقن، عينان، حدق أكثر عينان وجسد مسجى، أكثر، جندي من الفصيلة العدوة ممدد تحت ركام الإسمنت، تأمل الجسد المحطم بانذهال، لا يبين منه شيء سوى الصدر ويد وحيدة وعينان تحدقان به. انشبكا في التحديق لمدى خارج مدارات الحرب ودوي الرصاص والسفك اليومي، انكسرت عينا الجندي الـ «ما» المنحشر أسفل الإسمنت والسيخ والزجاج، مالتا نحو الأرض، انكسرت معهما عينا الجندي الـ «ما» المنحشر تحت جمر أحشائه الملتهبة، مالتا صوب الأرض. كان السائل الأصفر الشفاف قد خط مجرى نحيلاً وانحدر متعرجاً صوب الجسد المحطم. مدّ يده، مال بجسده المحموم، جعل كفه حاجزاً بين الوجه والسائل الشفاف الأصفر، جرف النثار، التراب والسائل الأصفر، بنى بكفه سداً ثم أغمض عينيه ودوار يجتاحه، سقط بمؤخرته العارية على الأرض، ثم سمع النداء: «اسرع، تحرك.. الطائرة». أبصر الزميل ينحدر متدحرجاً باتجاه الجهة المقابلة والرشاش الصغير في يده، نهض متطوحاً، سال السائل الأصفر الشفاف وانساب على ساقيه، تحرك ممسكاً بالكاكي، ومؤخرته مكشوفة تواجه عينين مرهقتين تبدآن الآن بالانطفاء.. جندي «ما» في الجبهة الشرقية للمدينة المحترقة، كان يتحرك متعثراً ببقايا الطوب وشظايا الزجاج ونثار الإسمنت، طائرة «ما» ظللته، حدق في المعدن المتوهج وهو يفرد يديه، همس: «الطائرة». دوى دوي حاد بأذنيه، ترنح.. جندي «ما» ترنح وتهاوى فوق ركام الإسمنت عند الجبهة الشرقية للمدينة.

* روائي قاص وكاتب سوداني ولد عام 1970
صدر له: روايات: تخوم الرماد، ذاكرة شرير، أشباح فرنساوي، آخر السلاطين. حاصل على جائزة الطيب صالح للإبداع الروائي عن روايته «ذاكرة شرير» 2005

الجنونُ قريباً

جون بوي *

سيحل الخريف قريباً!

قالت سارة وهي تضع أمامنا صينية مليئة بقطع المانجو المجففة، وهذا أمرٌ جيد لأنه لا يوجد ما هو أفضل حتى نخمد به حرّ يناير، ربما قالت ذلك لأن الجو اليوم أشد حرارة من الأيام الفائتة، وربما تلمح بذلك إلى أن سقف الغرفة الوحيدة في المنزل تحتاج إلى ترميم.

بالنسبة لنا، جون وأنا، فإن الحر يبدو مضاعفاً أكثر مما يشعر به الجميع، والسبب هو التعب الذي تكبّدناه في الكرّ والفرّ ساعاتٍ طويلة، في محاولة يائسة لاصطياد «ورلٍ» بدأ يظهر منذ أن تراجع منسوب النهر.

والسبب أن جون يريد الحصول على كبد ذلك المخلوق العجيب، إنه يعتقد بطريقة ما أن ذلك سوف يفتح له أبواباً مغلقة، حاولتُ ثنيه عن تصديق أن الأمر محض شعوذة لكن دون جدوى. وحتى لا يكون وحده في هذا الدرب الخطر، قررتُ مرافقته كل يوم وأصبحت أجد الأمر مسلياً نوعاً ما، خاصة لشخص لا وقت له كيما يمارس الرياضة مثلي.

لم يرد عليها بشيء وكذلك فعلتُ أنا. هو لا يستطيع قول شيءٍ لها، لكن عندما نكون وحدنا، لكن عندما تكون غائبة عنا، منهمكة في إعداد شيءٍ ما في المطبخ، يبدأ هو في الحديث:

ألمْ أقل لكِ إن كل المشكلات الصغيرة هذه، سوف تُحل فور اصطياد ذلك